Kirkuk University Journal of Humanities Studies

مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية

https://kujhs.uokirkuk.edu.iq/

Manifestations of belonging in the poetry of Nidal Al-Ayash

Dr. Khaled Mahmoud Khalaf Al-Jabouri

University of Kirkuk

College of Education for Humanities

009647709311314

dr.khalidmahmood@uokirkuk.edu.iq

تاريخ الارسال 2024-11-17	تاريخ التعديل 2024-11-28	تاريخ القبول : 2024-12-1

Abstract

The research dealt with the work of the modern Iraqi poet Nidal Yousef Al-Ayash) with an objective critical study. The choice was made on the subject of belonging because this feeling constituted an emotional and psychological overflow in the poet's life and work. The manifestations of belonging were traced in the two collections (Psalms of the Devil and Shay' Al-Rababat). It became clear through the analysis of the verses and the use of several critical analytical methods (psychological, historical, social, artistic, etc.) that belonging is an innate and basic need that cannot be absent from the work of any writer or that any artist can be stripped of it, whether he is a poet, painter, musician, etc.

Keywords: Belonging, criticism, Nidal Al-Ayyash, objective study.

تجليات الانتماء في شعر نضال العياش

م .د. خالد محمود خلف الجبوري

جامعة كركوك

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

009647709311314

dr.khalidmahmood@uokirkuk.edu.iq

ملخص

تناول البحث نتاج شاعر عراقي حداثويّ نضال يوسف العياش بدراسة نقدية موضوعية، فكان الاختيار على موضوع الانتماء؛ لما شكَّل هذا الشعور من فيض مشاعري ونفسي في حياة الشاعر ونتاجه, وقد تتبَّعنا تتبع مظاهر الانتماء في ديواني (مزامير الشطآن وفيء الربابات) وقد ظهر من خلال تحليل الأبيات واستخدام مناهج تحليلية نقدية عديدة (نفسي, تأريخي, اجتماعي, فني ...إلخ) أن الانتماء حاجة فطرية وأساسية لا يمكن أن تخلو من نتاج أي أديب أو أن يتجرد منها أي فنان، سواء كان (شاعرًا, رسّامًا , موسيقيًّا...إلخ(

كلمات مفتاحية :الانتماء, نقد, نضال العياش, دراسة موضوعية.

مقدمة

يعدُّ الانتماء أحد أهم الحاجات النفسية التي تربط الإنسان بالحياة والواقع بشكل عام, وهو شعور الإنسان بالحاجة إلى الآخر أيًّا كان: فردًا، جماعةً، حزبًا، قوميةً، دينًا، عرقًا ....

إذ يشكّلُ له نوعًا من الحماية، وينعكس ذلك على سلوكه ومعتقداته وفاعليته في المجتمع، ويشكل إحدى الضرورات الحياتية التي لا يمكن أن يتجرد الإنسان منها, كما يُعدُّ الانتماء حاجةً نفسيةً تتعدَّى المجتمعات البشرية إلى المجتمعات الحيوانية، حيثُ يشّكلُ الانتماء فكرة غريزية لدى الإنسان؛ فلا يستطيع إلا أن ينتمي لجهة ما، ولذا يأتي الشعر محمّلاً بملامح الانتماء والارتباط، سواء بأرض أو فكرة أو دين أو مذهب, أو طائفة, أو قبيلة.

إذا ما تمعن الدارس في النص الإبداعي لا بد أنه سيتلمَّسُ أو يجدُ مظاهر الانتماء عند صاحب الأثر أو النص، انتماء ديني, عرقي, سياسي, أيدولوجي, قبلي ..... وتمثل صورةً من صور الهوية الثقافية للمبدع، ومن خلال استقصائي لديوان الشاعر وجدتُ صور الانتماء ظاهرةً بشكل جلي ما بين انتماءٍ وطنيٍّ وقبليٍّ واجتماعيٍّ وسياسيٍّ ومكانيٍّ.

التمهيد

أوَّلاً الانتماء لغة: ((انتمى فلان إلى فلان، إذا ارتفع إليه في النسب، وكل ارتفاع انتماء. يقال: انتمى فلان فوق الوسادة) (لسان العرب، ابن منظور، 1990، صفحة 342) وهذا يعني أن الانتماء يحمل بُعدًا آخرَ مرتبطًا بمسألة الرفعة والارتفاع، وهذا أمر مهمٌّ، وله أثر نفسي على الأفراد, ومن معاني الانتماء الأخرى ((معنى الانتساب ونسب الشيء أصله أو العودة عليه انتسب: ذكر نسبه ويقال نسبني فانتسبت له.)) (مجمع اللغة العربية ،معجم الوسيط،عبد الوهاب السيدعوض الله،محمد عبد العزيز القلماوي،، 1985، صفحة 953).

الانتماء اصطلاحا

الانتماء وهو علاقة تلازمية، يتنوع فيها التلازم (الانتماء) بتنوع العلاقات الإنسانية في مكان وزمان محددين، فهو ظاهرةٌ إنسانيةٌ قديمة يرقى تاريخها إلى بداية تاريخ الوجود الإنساني نفسه.. (الانتماء في الشعر الجاهلي، د. فاروق أحمد سليم، 1998، صفحة 9) وهذا يعني أن هناك علاقةً وارتباطًا قويين بين الانتماء والإنسان؛ فلا يُمكن أن نجد أفرادًا غير منتمين لشيء ما, وهو غريزة فطرية جُبِلَ الإنسان عليها ((إن الانتماء ظاهرة اجتماعية وفكرية ثم فنية، في وجوه كثيرة، في ذاته الفردية – جزءٌ منصهرٌ في كيانٍ أكبرَ يقال له الذات الجماعية، تنتهي حريته عند حدود مصالحها ووجودها. وبهذا الوعي يصبح المجموع لدى الشاعر المنتمي مساوياً للذات؛ لذا كان ملزمًا بالدفاع عن قبيلته وقيمها، وهو التزام أدبي وطوعي)) (الانتماء ظاهرة القيم العربية في القصيدة الجاهلية، حسين جمعة، 1996، صفحة 31_83(

والانتماء لا يمثل مستوى أو جانباً محدَّدًا من الحياة، بل نجدُ أنَّ شُعور الانتماء لصيق بكل تفاصيل الفرد والجماعة، سواء كانت حياته اليومية أو الأشياء العامة التي تربط الفرد بالمجتمع وللانتماء ((مستويات متعددة منها الانتماء السياسي الوطني، والقومي، ثم الانتماء إلى الإنسانية، كذلك الانتماء العاطفي الذي يتجلى بالحس الذاتي والشعور الوجداني للوطن والأمة. وهناك مايُسمّى الانتماء إلى العقيدة والحضارة التي ينتسب إليها الفرد، وثمة علاقة وطيدة بين الوعي والانتماء؛ لأن الوعي يعزز الانتماء وينمّيه، ومن هنا يبرز دور الأدب والسياسة والفكر في بلورة الوعي الوطني والقومي، ولمواجهة الغزو الاستعماري العالمي حفاظاً على الهوية الحضارية عن طريق الإنتاج والإبداع، مما يسهم الوعي في مواجهة النزاعات العرقية والقبلية المتطرفة)) (أزمة المواطنة في الشعر الجواهري،دراسة في ضوء المنهج التكاملي، فرحان يحيى، 2000، صفحة 51) وللانتماء وجهانِ، وجهٌ شكليٌّ ظاهريٌّ مُعلنٌ أمام المجتمع, وآخرُ مضمونيٌّ داخليٌّ غير معلن وغير مُصرَّحٌ به, قد يتم إخفاؤه عمدًا من قبل الأفراد, وذلك لأسباب عديدةٍ تدفع المرء لأن يخفي انتماءَهُ السياسيَّ مثلاً أو الحزبي أو القوي, الديني, القبلي, الثقافي, ...إلخ, ((إنّ الانتماء يُعنى بالمستوى الشكلي أكثر من عنايته بالمضمون الجوهري التلقائي، بمعنى أن الفرد قد يكون عضواً في جماعة، ومحسوبًا عليها، إلا أنه لا يرتضي معاييرها، ولا يتوحد بها، ولا يشاركُها ميولَها واهتماماتِها، فهو ينتمي إليها شكلاً، وليس قلباً، وفي هذه الحالة يصبح منتمياً إلى هذه الجماعة

بينما يكون ولاؤه... لجماعة أخرى أو لزعيمٍ آخرَ أو لمبدأ مغاير للجماعة المنتمي إليها)) ((معجم علم النفس والتحليل النفسي: طه فرج، عبد القادر آخرون، صفحة 68) وإذا ما أردنا تتبع شعور الانتماء، نجد أن الانتماء إلى الأسرة أو العائلة محطة الإنسان الأولى هي أقوى أنواع الانتماءات؛ فهي من الانتماءات الراسخة والمتجذرة في الفرد ((فالانتماء إلى الأسرة هو نقطة الارتكاز والانطلاق في بناء الانتماء، فكل إنسان ينتمي إلى أسرة، تنجب في الغالب أفراداً يبنون أسراً جديدة، والأسر الجديدة ذات الأصل الواحد، والظروف والأهداف المشتركة تؤلّف مجتمعة أسرة كبيرة، أو عشيرة، يقودها امتدادها الأفقي بالتوالد، وتاريخها ومصيرها المشتركان إلى طور القبيلة المؤلفة من عشائر عديدة، ترجع إلى أصل واحد، وتشترك في اللغة والمنازل، وتتملك بالجدل الخاص بين أفرادها داخل القبيلة)) (الانتماء في الشعر الجاهلي، د. فاروق أحمد سليم، 1998، صفحة 9) ونجد أن للانتماء حاجاتٍ فسيولوجيةً مُهمَّةً يتغذى عليه الأفراد، مثل الحماية والعيش الأمن والقبولُ الفعليُّ من دون الظاهري، فهو يطمع دائمًا في أن يحتمي بشيء حين تدهمه إحدى كوارث الطبيعة، أو حين يتعرض لعدوان من أفرادٍ آخرينَ (...) ويكون التلاحم والتعاون بين الفرد والجماعة هو الملجأ والملاذ من طبيعة شديدة الوعورة، ويغدو الجميع يدًا واحدةً للسعي من أجل الاحتياجات الضرورية للفرد والجماعة (الشعر الجاهلي بين القبلية والذاتية: عمارة اخلاص فخري، 2001، صفحة 17) إن الانتماء إلى الأصل المشترك، ولا سيما الأسرة، هو الأول والأكثر أصالة واستمرارية في تاريخ الإنسان، وهو قسري وفطري معًا، لا خيار للإنسان فيه، ولا سوية له من دونه، فالإنسان يولَدُ منتميًا إلى الأسرة مضافًا إليها انتماءاتِها إلى عشيرتِها وقبيلتِها وأمتها، وإلى الإنسانية جمعاء. وذلك الانتماء الأول هو انتماء مغلق، فأفراده يتفاعلون ضمن دائرة أصلهم المشترك، وهي دائرة تتوسع لتستوعب دوائر صغيرة جديدة (الانتماء في الشعر الجاهلي، د. فاروق أحمد سليم، 1998، صفحة 10).

ويرتبط الانتماء بمعاني الزيادة في المنزلة والرفعة في الشأن، والنهوض للأمر الشريف والانتشار في المكان، والنجاة من الأخطار، ومن خلال الوعي طور الجاهلي هذا الأصل اللغوي. ليعبر عن التنوع في إطار الوحدة، وعن معانٍ إنسانيةٍ تؤكّدُ استمرارية ظاهرة الانتماء، وترفع شأن الإنسان بوصفهِ منتمياً إلى رابطة إنسانية (الانتماء في الشعر الجاهلي: د. فاروق أحمد سليم، 1998، صفحة 10.

ثانيًا نبذة تعريفية بالشاعر:

اسمه: نضال يوسف أحمد العياش ولد في محافظة صلاح الدين قضاء الشرقاط في عام ١٩٧٥م.

ماتَ أبوهُ وكان في السادسة من عمره، وكان لهذه الحادثة أثر كبير في حياته، عاش شيئاً من البؤس والضياع والتمرد، أكمل دراسته الإعدادية في إعدادية الشرقاط، وانتقل بعدها إلى جامعة البصرة كلية الحقوق عام ١٩٩٦م بعدها إلى جامعة الموصل، لتظل ذاكرته مع كاظم عبد علي وناظم الفتى البصري الأسمر، وقد انتقل معه عمر إسماعيل أحد شركاء شعبة (ج) كما يصرح في نصوصه. (الانتماء في العرف الجاهلي:فاروق سليم، عصام قبجي، 1995، صفحة 60(

حصل على شهادة الماجستير في اللغة العربية/تخصص الأدب العربي من جامعة تكريت، كلية الآداب، قسم اللغة العربية.. عام 2021م

كما حصل على شهادة الدكتوراه في اللغة العربية، في الأدب العربي في قسم اللغة العربية كلية التربية/جامعة تكريت. عام 2024م (اتصال بالشاعر بتاريخ 24/ 2/ 2024).

عضو في الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق. عضو نقابة الفنانين

كما ويعمل موظفًا لدى مفوَّضية انتخابات صلاح الدين

تزوج عام ٢٠٠٠م له ولد وابنتان..

أعمال الشاعر

1- فيء الربابات

2- مزامير الشطآن

وبما أن الموضوع البحث عن الانتماء سنقدم لمحة عن الشرقاط مسقط رأس الشاعر

لمحة عن الشرقاط:

تُشكِّلُ الشرقاط جزءًا كبيراً من تاريخ الشاعر وذكرياته، فموقعُها كائنٌ بين نينوى صلاح الدين، وتحاصرها الأنهار من كل زواياها، وتحدُّها الجبال من اتجاهين، وهي أرض خصبة تنجب المبدعين، سقطت بيد عصارات داعش الإجرامية عام 2014 وكان الشاعر قد غادرها إلى أربيل حيث النزوح والغربة والبعد عن الأهل والأحباب، وبقي قلبه هناك معلقاً في أزقة الشرقاط وقراها وحتى خرائبها.

المبحثُ الأول

الانتماء إلى الأرض والعروبة:

ذكرنا سابقاً أن الانتماء إلى الأرض أو المكان الذي يعيش فيه الإنسان حاجة أساسية طبيعية لدى الأفراد، وخاصة لدى الشعراء والفنانين, كونهم يمتلكون أدواتٍ ثقافيةً تساعدُهم وتُسعفُهم في التعبير عن دواخلهم وعن شعور الانتماء إلى الوطن أو البيت أو الأسرة, والأرض من الأشياء الشاخصة أمام الإنسان، فالارتباط بها يكون أكثر عمقاً من الانتماءات الأخرى سواء كانت عرقية سياسية, اجتماعية ....

فنجد ذلك ظاهرًا في شعر العياش, إذ عايش الشاعر فترات من الحروب الذي طرت على وطنه العراق، فيظهر التصاق الشاعر بأرضه وتعلقه بمدينته الشرقاط إذ كثيرًا ما كتب عنها وعن كل الأشياء التي أحبها, فضلاً عن رسالته التي أراد أن تصل إلى العالم عن هذه المدينة الصاخبة بالفن والحب والحياة .

((وللبعد المكاني أثر في الانتماء لدى الشاعر، فالرسم الشعري هو فن المكان الانتمائي)). (قصيدة النثر عند جماعة كركوك:أ .م. عمر توفيق ابراهيم،م.م.سنان عبد العزيز عبدالرحيم، 2008، صفحة 31) يعبّرُ الشاعر عن مأساته ومخاوفه الناتجة عن انتمائه لأرضه, فعندما تطرأ الحرب على مدينة الشاعر، يتحرك لديه نزوع الانتماء والولاء والدفاع عن ما يملكه من حب ووفاء وإعجاب لوطنه ومدينته الشرقاط فيقول (الكامل).

للصبح في ليل العراق المُسدلِ

صرنا نخافُ الحَلْمَ غفرانَ الرصاصِ

فكيف نحلم بالبقاء الأرذلِ

ياسيدي، إن كان حُبُّكَ جُثتي

يا سيدي قُل كيف يصبح مايلي (مزامير الشطآن: نضال العياش، 2017، صفحة 18).

يخاطب العراق وطنه عبر المجاز البلاغي ويختار (لفظة سيدي) ولها بعد ثقافي, إذ تحمل هذه المفردة من الهيمنة والعلو، وهذا يعني أن الشاعر يدرك أنَّ انتماءَهُ الوطني شيءٌ مقدسٌ، فيستعملُ أقوى الألفاظ والمعاني. وكذلك نراه يكتب عن مدن عراقية يحملُ عنها في ذاكرته الكثير منها نينوى فيقول (الكامل).

يا نينوى الحلم البعيد الأعزلِ يا سورة الورد الجريح المُهملِ

إني طريدُكِ أشتهيك منافيًا فهوى رصاصك في جراحاتي حُلي

ما زلت في ذاك الدلال صبيةً شمسيةَ الخدّينِ لم تتبدّلي

هذا أنا أوتـذكرين أصابعاً تحسو الندى عن قوس رمش أكحلِ؟

فأنا هنا ما زلتُ فيكِ مُغنّياً بي ألفُ سمرا من هواكِ و(يردلي) (مزامير الشطآن: نضال العياش، 2017، صفحة 17).

في هذا النص الذي تهيمن عليه النداءاتُ الظاهرةُ والمضمرةُ، التي توحي بانتمائه النفسي والجسدي إليها، فهُنا يحاكي نينوى، ليست بوصفها مدينةً عراقيةً فحسب، بل بوصفها موطناً عاش فيه شباباً مليئاً بالضياع، فهو ما زال يحنُّ إلى طُرُقاتِا وأصدقائه الذي شاركوه جدوى التشتت والضياع، كرعد الحمد وغيره، لكنه يقف أمامَها عاجزًا لا يعرف سبُلاً تأخذه إليها، (إني طريدك أشتهيكِ منافيًا) فهو يتمنى لو أن المنفى قاده إليها، مغادرًا أرض الشرقاط إلى نينوى الحلم البعيد، لأنه يجدها منفىً أجملَ من أرضٍ حطّ بها ولا يعرف عنها إلا بيتَ الإيجار الذي كان يستبدله كما يستبدل جورابتيه كما يذكر هو، ثمّ يعود بعد ذلكَ ليتنفسَ أنساقَهُ بين نهديها (الساحلين الأيمن والأيسر) فهو يجدهما نهدي حبيبةٍ تحنُّ إلى غائبٍ لا سبيل له للعودة، وهذه الصورة البلاغية الجميلة تعكس مدى الضياع والتشتت الذي يعيشه الشاعر بين جدران الغربة، ثمّ يعود ليذكّرها بأصابعِه في اللقاء الأول وهي تحطُّ عليها مثل أصابع طفل تحط على قطعة حلوى (هذا أنا أوتذكرين أصابعاً...) مستعيدًا كلَّ ما بينهما من مشتركات غزلية (ألف سمرا، يردلي..) ويعود بعدها ليسحب نينوى إلى منطقته التي أتعبها غياب المنجل والحصاد، نينوى المدينة التي لا تعرف سوى منجل الطعن وحصاد الأرواح، وهذه مفارقة أسلوبية

جميلة يحاول فيها الشاعر أن يجعل من مدينة فخمة لا تعرف مرجعيات القرى، مدينةً تعزفُ الربابةَ وتغنّي أغانيَ الحصادِ، وتهدهد أولادها على صوت العتابة.

ثم يعرج إلى نداء الوطن الذي يحس أنه الانتماء والهوية التي تعزّز روحه بالزهو والكبرياء، مستعيدًا كلّ ما كان من مرافئ العراق وسفائنه..

هذا العراق نبوّة الماء الشهيد الجاني ....

سملوه بالتأريخ بالنص العضال وما يزال يراني..

يا موطني هب لي عيونك علني ألقاني .....

هَبْ لي شواطئ لا تُكفِّرُ غنوة الجريان.....

يادار أهلي يامراح النجم من نزف الضيا (مزامير الشطآن: نظال العياش، 2017، صفحة 36(

يبدأ العياش نصه بلعبة لغوية فريدة، من خلال جعل اسم (العراق) خبرًا مرّةً، وبدلاً مرةً أخرى، فيشكّل ذلك نسقاً انتمائيًّا فريدًا للنص، يحاول الشاعر من خلاله الكشف عن أنساقه الانتمائية التي تولّدت استباقيًّا، فيكون الفجاءةُ أنّ لفظة (نبوّة) خبر مرةً وخبر ثانٍ مرة أخرى، ويشدّ الشاعر حقيبة الانتماء حاملاً كلّ ما علق في ذاكرته من بقايا العراق النبيّ (التاريخ، النص العضال، الجاني) وتسيطر على النص النداءات التي لا مفرّ منها، فهي بمثابة التنفيس عن النفس وبثّ لواعج انتماءاتِها من خلال هذه النداءات التي تسيطر عليها ظاهرة نفسية، ويعود متّخذًا الأمر وسيلةً للرجاء ساحباً إياه لغرضٍ آخَر، (هب لي عيونك) وتكون الإجابة (علني ألقاني) ليكون وَهْبُ العيونِ طريقاً ليجد نفسه، كونَهُ كرّس انتماءَهُ محصورًا بعيون موطنِهِ شاعرًا أن الموطن سبيله إلى نفسه، نص تسيطر عليه التكرارات من نداءاتٍ وأساليبِ أمرٍ وغيرِها (يا دار أهلي، هب لي شواطئ..) والانزياح الذي نلحظه هو أنه يطلب شواطئ لا تزهد بغنوة الجريان التي تحاول أن تكون صديقةً لشواطئ البلاد ومرافئها، وذلك يشكل نسقاً يوحي بأن الشاعر يحاول أن يعيش داخل منفى الوطن بأي وسيلةٍ،

لمجرَّدِ السلام والأمان، وذلك أسمى طرق الانتماء إلى الوطن نفسيًّا وجسدياً. إن للبيئة والسياق أثرًا كبيرًا في توجيه النص متزامنًا مع نفسية الكاتب، وهذا ما يتجلى في العلاقة الثنائية بينهما في إنتاج دلالات بقرائنَ مرجعية. (قراءة سيمائية لقصيدة (الخليلية)للشاعر الضرير (رائد الحبسي) أ.م.د. علي هادي حسن، 2022، صفحة 21(

وله قصيدة تجسد شعوره الانتمائي إلى العراق، ونلمس أنه انتماء من طرف واحد فيقول (تفعيلة من المُتقارب:(

ويا ربُّ

إني أحبُّ العراقَ

أحبُّ الجنوبَ

أحبُّ الشمالَ

أحبُّ الوسط ...

ولكن حبي لهم عاثرٌ

ومن طرفٍ واحدٍ

وفقط. (مزامير الشطآن: نظال العياش، 2017، صفحة 60).

ومن خلالها نجد أن الحب ذلك الكائن الذي لا يقبل الفردانية، فهو يعتاش على جوفين نابضين دافئين يدقان بذات الثواني، وما أن يلبث أن يكسو الجليد أحدهما ليثور الآخر، لتثبت نظرية الحب من طرف واحد، تبدأ القصيدة بنوع من المناجاة (يا رب) لتلقي الضوء على ظلال هذا الشعور بالغربة عن الذات التي انصهرت بالآخر، فهو لا يستطيع لها وحده لذلك يفر منه إلى خالقه جل جلاله، وماذا لو كان الطرف الآخر هو الوطن الذي لا يبادلك شعور الانتماء ولا يقدم

لك الاحتواء الذي تحتاجه، والحب هنا حب متكامل لكل أجزائه ومتقبل لكل عيوبه، فهو يحب العراق بجنوبه وشماله ووسطه، لكنه يجد ذاته تتعثر بها كلما تقدم في هذا المودة، لأنها ليست موازية له ، فهو حب عاثر من طرف واحد .

هي الشرقاط أمي وهي آي

مُكَمّلةٌ وعن جرح رواهَا

أما انتماؤه الخاص، فيعلن عنه بقصائد كثيرة يكتبها عن الشرقاط ولها فيقول (الوافر):

هي الشرقاط وجهي وهو نايٌ

يساكنُ منذ فجرِ الحربِ آهَا

هي الصوتُ المجلجلُ أنتَ تدري

وصوتُ الكونِ بعضٌ من صدَاها

أنا ابنُ الخبز، حيثُ الخبزُ أهلٌ

بهم سفرُ المكارمِ كم تباهى-

أنا ريفٌ

أنا نهرٌ وسيمٌ

وكم مالت تغازله قراها

أنا الحاوي

أنا جبل وقورٌ. (مزامير الشطآن: نظال العياش، 2017، الصفحات 84- 85).

الشرقاط تلك البلدة الأثرية بنهرها الفياض ، والتي تركت صداها في نفوس أفرادها الأدباء الذين كثيراً ما حوَوا أشعارهم شعور الحنين إليها والانصهار بها حد الذوبان، والشاعر هنا يبدأ بجملة خبرية تشير إلى الصورة الثنائية المتضادة التي يحملها الشرقاط فيه ، فهي الأم صورة الحب اللامتناهي حيث الأمان والاحتواء ، وهي(الآي) الوجع والندم وفوات الأوان، والشاعر يريد عبر هذه الصورة أن يبين نسقاً للأمكنة التي ألفناها فهي تتجذر بدواخلنا وتبني صرحها كلما كابدنا فيها الألم والحرب والفقر وكأن المكان يتحول من يد تفترسك في نهاية المطاف إلى يد تحنو عليك عطفاً كالأم التي تعاقب طفلها ثم تشفق عليه، إذ ((يكتسب المكان في أثر رجعي من الجسد انبساطه الخاص، فتسري فيه أحاسيسُ صاحبه جيئة وذهابًا، في تبادُلٍ عجيبٍ يُعطي للمكان حياة، يتعذر على النظرة العجلي استكناهَ أسرارها.)) (فلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضوعاتية جمالية: د. حبيب مونسي، 2001، صفحة 17) ومن هنا ينتقل الشاعر الى صورة أخرى للشرقاط فهي ذات أخرى له بقت تعزف ناي آهات الحرب التي جرت عليها ، والعزف هنا مفارقة عن معنى العزف المعروفة التي تبدأ بعد الانتهاء ، لتبث نوع من الراحة والاستسلام من شعور التعب في دواخل عازفيه وسامعيه ، غير أن العزف هنا امتداد لنوع آخر من المقاومة ، وهي قوة وصوت مجلجل لا تنسى الألم ومسببيه، ثم ينتقل الكاتب بعد هذا التقديم للشرقاط إلى تقديم ذاته التي ما تلبث أن هي نفسها صورة معكوسة في النهر عن الشرقاط أيضًا ، فهو ابن الخبز أي الكرم والخبز أهل، أي أن الكرم أهل لمكانه الذي ولد فيه، وهو ريف دلالة عن بساطة ذاته، وهو الحاوي، وهذه المفردة تدل لغة على الرجل العقيم الذي لا ينجب ، فهو عقيم عن حب غيرها الشرقاط مولع بها قائم عليها ، وهو بهذا جبل وقور ثابت.

المبحث الثاني: الانتماءُ الذاتيُّ

وهو أن يشعر الفرد أو الشاعر بالانتماء والارتباط بنفسه وهويته الشخصية التي تشكلت عنده من خلال تجاربه الشخصية، وبفعل تراكم سنين العمر تكونت لدى الفرد أشياء مفضلة يجد بها ذاته وكيانه، ومن هذه الانتماءاتِ كأن ينتمي لفكرة يتبناها هو أو معتقد أو اهتمام معين ويُعَدُّ الانتماء الذاتي بوابةً للتواصل مع الروح والجسد في آنٍ واحدٍ، إنَّ سلوكيات الشاعر وإسقاطاته الفكرية والنفسية تفصح عن مدى شعوره بالانتماء وعن هويته، عبر مجموعة القيم الإنسانية التي تتجلى في النصوص الشعرية، والمعاني التي يحاول أن يؤسِّسَ لها في ذهن المتلقي والمجتمع

وعبر الأدب الذي هو تصوير لخبايا النفس ولواعجها (تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري: طه أحمد ابراهيم، 1971، صفحة 72) فيقول العياش (الكامل):

أنا لست مشتاقاً إلى أحدٍ سواي ..

فمتى سأجمعُ من ركامك يا أناي؟

لي منك إسم لا حروف تلمُّه ...

ومن ارتحالك ليس لي إلا صداي...

الوهم دربي والغبار قبيلتي..

والشك راحلتي وأغنيتي أساي...

هربت أمطاري مخافة نارهم

وتركتهم يتقاتلون على نداي....

حتام أبذر في سماك تساؤلي...

وأردُّ محسوراً تبعثرني خطاي ..؟

كم قلت لي : كفّي عصاكَ فلا تخف.

ورميت أفعاهم، فما عادت عصاي!. (مزامير الشطآن: نضال العياش، 2017، صفحة 126).

يمكننا أن نستشف من النص العديد من مظاهر الانتماء والبحث عن الهوية من خلال التعبير عن العلاقة مع الذات وبتمثلات هذه العلاقة ومحاولة اكتشاف الهوية الحقيقية وهذا ما يكشفه بقوله (لست مشتاقاً إلى أحد), ويكشف أيضًا عن العودة إلى مشاعر الحنين والماضي ومحاولة تجميع ذات ممزقة عبر محاولة معالجة المواقفة التي عاشها الشاعر بالتذكر, ويعكس النص صراع نفسي عاشه الشاعر من خلال حديثه عن الشك والوهم مما يبين العلاقة المتوترة التي يعيشها الشاعر مع المحيط مما أدى به إلى العودة إلى الذات, فنصل أن النص يعبر عن قضايا ومحاورَ تدعو الشاعر إلى النأي بنفسهِ والعودة الانتماء الذاتي. وبقوله (الغبار قبيلتي) يعكس مدى خيبة الشاعر من الواقع المَعيشِ الذي كان يحاول الانتماء له والعودة عليه.

لم أبلغ أسباب المنفى...

وجهي

قبل في شَفَةِ النسيان ...

لم أعرف معناك ووجهي...

حتى الآن ...

لم أهرب من ذئب التيه الواثب خلفي ...

لم أملأ قربة أجدادي...

إذ تركوها تحت وسادي ...

فأنا منذور للسُقيا ...

وأنا الظامئ حد الفيض...

حتى الآن...

لم أنجز شاهدة تجعل من قبري بستان

لم أنه النص الأول....

حتى الآن...: (مزامير الشطآن: نضال العياش، 2017، صفحة 61).

يظهر في النص انتماء من خلال ذكر الشاعر للروابط عائلية (قرية أجدادي) وهذا ما يحمل نسق العودة إلى جذور النفس من خلال استحضار أشياء تجمعه ثم يعمد الشاعر على إيحاء كثيف بالمواطنة والغربة من خلال التعبيرات (لم أبلغ أسباب المنفى) تشير إلى تجربة من الاغتراب النفسي والتشرد مما يعكس رغبة الشاعر الدفينة في الانتماء واللجوء بدافع الحنين الذي يولده الظمأ المستمر مما يدل على أن الشاعر يشعر بوحشة المكان والزمان, كما ويظهر أن الشاعر يحرص على أن يكون له من الخلود نصيب الخلود المتمثل في الانتماء المكاني (شاهدة تجعل من قبري بستان) وأكثر ما يعزز شعور الانتماء لدى الشعراء هو المنفى فقدان الهوية والوطن يعمل عامل ضغط نفسي على يفاقم من شعور الانتماء

وفي قصيدة (قيامة الربابات) يقول (الكامل الأحذِّ):

جمري يحدثني عن امرأةٍ

في زلفها تصطفُّ أوطانُ

قلبي يحدثني وهُمْ وطنٌ

لنخيله تصطف غربانُ

عن أمةٍ للماء مبعثُها

بصباحها تستاكُ عربانُ

قل للربابة وهي تنزفُنا

من كفرها ينثال إيمانُ

يا أمُّ، هذا الحلْمُ أسْكَرنا

صحواً وجفن الأفق نعسان (مزامير الشطآن: نضال العياش، 2017، صفحة 62).

يستحضر الشاعر فكرة (وطن) و(أمة) مما يعكسه ارتباطه العميق والقوي بالمكان والزمان ثقافيًّا واجتماعيًّا ففي قوله: (قلبي يحدثني هم وطن) تحمل هذا الكلماتُ شعورًا حادًّا بالبحث عن فكرة الانتماء واللجوء لشيءٍ يحمي الإنسان، فالوطن مكان وكذلك نرى أن هناك تكثيفًا للرموز (نخيله) (عربان) انتماء ذاتي يعكس روح الشاعر الباحثة عن الرموز التاريخية التراثية الاجتماعية، ويقول: (ينثال إيمان) تدل على قوة إيمان الشاعر بالأمل والتفاؤل بالانتماء. ((وأصبح الانتماء مفهوماً شمولياً، حتى تكامل عنده الشعور بالهوية الذي ينطوي على مجموعة من المشاعر المختلفة، كالشعور بالوحدة، والتكامل، والانتماء، والقيمة والاستقلال، والشعور بالثقة))

(الهوية: ألكس ميكشيللي، 1993، صفحة 15).

وفي قصيدة له بعنوان (رقيم الريح) (الكامل).

أنا كائن اللغو الفصيح إذا تموت الألسنةْ

أنا شاعر مسَّ الحَصى ليؤنسنَهْ ....

أنا أولُ العشاق في مدن الرحيلِ ...

من قبل جمر الإنتظار أنا هنا....

وعلى احتراقاتي تفور الأزمنةْ...

أنا غصَّة التكوين في نبرِ الرواةِ

أنا فصامك واتحادُكَ واغتراب الأمكنةْ .

وأنا رقيم الريح دون وجهتي ...

فغدت عيوني للرحيل مُدَوَّنَةْ .. (مزامير الشطآن: نضال العياش، 2017، صفحة 67).

تُهيمن على النص مجموعة كبيرة من الجمل الخبرية التي تحملُ أنساقاً ثقافيةً تعَبّرُ عن انتماء الشاعر مجموعةٍ من التفاصيل التي تشكّل ذاته، منها ما هو مألوف ومنها العكس، ولكنه يبوح به عبر اللاوعي الشعريّ وهي انتماءات نفسية أكثر من كونها انتماءاتٍ إلى بيئة أو قبيلك، فهو يجمع بين اللغو والفصاحة واللسان، من خلال تلاعبه باللغة، ويعودُ بعدها حاملاً رايةَ العشّاق في مدنٍ أتعبها الرحيل، وغادرها أهله وأحبابه وظلّت خاويةً على أطلالها، وذلك من خلال مفردات تعبّر عن حالة ضياع يعيشها الشاعر (جمر الانتظار، احتراقاتي، تفور الأزمنة، غصة التكوين..) فهو يخلط بين

آلامه وتشتته وذلك جليٌّ واضح من خلال اكتظاظ النصّ الشعريّ بمحموعة من المفردات والتراكيب التي تؤدي وظيفة الضياع، فهو اغتراب الأمكنة حين ظلّت بلا أنيس ولا أهل، فهذه العلاقة البلاغية للصورة قد أدّتْ وظيفةَ أنه يتماهى مع مدائنه التي فقدت خصائصها اليومية التي كانت تُمارسُها، فيصوّرُها من خلال رسم مشاعره وهي تفقد حبيبةً كانت خاتم يده، وأنه من فرط ما وجد من رحيل فإن عينيه أصبحتا مدونةً للرحيل، وهذه قمّةُ التشتّت أن يجد الإنسان نفسه تائهاً بين مُدنٍ لم يعرفْها إلا زائرًا، وهنا يتجلى الانتماء الحقيقي للشاعر وهو يكتب القصيدة بموسيقى المكان ولحن الزمان، فهو فقد كلّ شيء من أهل وأحباب وأصدقاء في مدينة لم يعد يعرفُ عنها إلا تغريباتها واحتراق رباباتها، وجاء النص على البحر الكامل مقيّد القافية، فيه تنوّع إيقاعي كبير يتلاءم مع قصديته في إيصال النص..

فأنا أحبك ياسعاد وأنتمي

لهوى السنابلِ في عيونِكِ والرّبى

يا جارةَ الحلم المعرش في دمي

يالثغ طفل في ضلوعي كم حبا

لو تقبلين يصير عمري قبلة

او ترحلين يصير جرحي كوكبا

فأنا أحبك في عيونك قبلتي

بايعت وجهك واصطفيتك مذهبا

وأتيت من وجع العراق حمامة

قد مشطت بالضوء عمراً أحدبا

ماذا سأكتب؟ لا حروف تدلّني

فلتمنحيني رافديك لأكتبا...

ابقي معي فأنا بدونك ساحل

قد فاته النهر الصديق فأجدبا ... (مزامير الشطآن: نضال العياش، 2017، صفحة 89).

يظهر من خلال النص انتماء عاطفي تجاه المرأة؛ فأسلوب الشاعر هنا رقيق عذبٌ يستعطف به قلب المحبوبة, ونرى أن الشاعر يكثر من الاستعارات والتشبيهات، ويستخدم الأساليب البلاغية بتكثيف عالٍ، وهذا يعكس قوة العاطفة المشحونة في النص وقوة شعور الشاعر بضرورة الانتماء إليها واللجوء، كما نجد أن النصَّ مليء بالصور الفنية، وهناك تصويرات حسية يشبه نفسه بالطفل وهذه عودة منه إلى المنابع الأولى للانتماء، حيث الطفولة والصبا والأحلام والزمن الجميل في عينيه .

ثم يذكر عبارة أو جملة (وجع العراق)، وهذا مزجٌ بين انتماءين ذاتي وجماعي، ويطلب منها بصريح العبارة أن تبقى معه، وهذا يعكسُ شعوره الحادِّ بالحاجة إلى الانتماء والذوبان والالتصاق مع الأشياء التي يريد الحصول عليها، ثم يعرج على ذكر أماكن معينة مثل (الساحل) (النهر)، وهذا يدل على مظاهر انتمائية في لاوعي الشاعر.

الخاتمة:

في نهاية البحث والدراسة توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج على صعيد الدراسة الإنسانية والنقدية للنصوص الشعرية منها :

1- يعد الانتماء من الموضوعات الشعرية المهمة في مسيرة الشعر العربي، فقد استدعى تفكيره منذ أقدم النصوص الشعرية التي وصلت إلينا، وظهر الانتماء بأشكاله كافّةً أهم البنى المضمونية التي برزت في شعر نضال العياش .

2- كان الانتماء إلى الأرض، ولا سيما أرض الوطن العراق والشرقاط على وجه الخصوص ظلت حاضرة في كثير من قصائده، ورموز الأرض والشخصيات وأسماء المدن والقرى وغير ذلك، جاءت كلها تأكيدًا على حرص الشاعر على انتمائه.

3- لم يقتصر الشاعر نضال العياش على الانتماء إلى مدينته الشرقاط فحسب، وإنما توسعت دائرة انتمائه لتشمل العراق من الشمال إلى الجنوب.

4- ارتكز الشاعر نضال العياش على الرموز الوطنية والاجتماعية لتكون بواباتٍ تعمِّقُ شعور الانتماء.

5- كان للفترة الزمنية التي عاشها نضال العياش دور واضح في بلورة شعور الانتماء، والتمسك الشديد بالأرض فصوت الدفاع عنها وتسليطه الضوء عليها، والتغني بها كان واضحًا في شعره وكان هاجسًا ملحًّا في نتاجه .

6- ظهرت صور عديدة للانتماء في شعره، منها انتماء ذاتي , انتماء إلى المرأة، انتماء إلى الفن والتاريخ...الخ

المراجع

مجمع اللغة العربية ،معجم الوسيط،عبد الوهاب السيدعوض الله،محمد عبد العزيز القلماوي،. (1985.(

مزامير الشطآن: نضال العياش. (2017). منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق.

مزامير الشطآن: نظال العياش. (2017). منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق.

معجم علم النفس والتحليل النفسي: طه فرج، عبد القادر آخرون. (بلا تاريخ). بيروت: دار النهضة العربية بيروت.

اتصال بالشاعر بتاريخ 24/ 2/ 2024. (بلا تاريخ).

أزمة المواطنة في الشعر الجواهري،دراسة في ضوء المنهج التكاملي، فرحان يحيى. (2000). دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

الانتماء ظاهرة القيم العربية في القصيدة الجاهلية، حسين جمعة. (1996). دمشق: مجلة التراث العربي.

الانتماء في الشعر الجاهلي: د. فاروق أحمد سليم. (1998). اتحاد الكتاب العرب.

الانتماء في الشعر الجاهلي، د. فاروق أحمد سليم. (1998). منشورات اتحاد الكتاب العرب.

الانتماء في الشعر الجاهلي، د. فاروق أحمد سليم. (1998). اتحاد الكتاب العرب.

الانتماء في العرف الجاهلي:فاروق سليم، عصام قبجي. (1995). مجلة بحوث جامعة حلب.

الشعر الجاهلي بين القبلية والذاتية: عمارة اخلاص فخري. (2001). القاهرة: مكتبة الآداب.

الهوية: ألكس ميكشيللي. (1993). (د.علي وطفة، المترجمون) دمشق: دار الوسيم للخدمات الطباعية.

تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري: طه أحمد ابراهيم. (1971). دار الكتب العلمية بيروت.

فلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضوعاتية جمالية: د. حبيب مونسي. (2001). اتحاد الكتاب العرب دمشق.

قراءة سيمائية لقصيدة (الخليلية)للشاعر الضرير (رائد الحبسي) أ.م.د. علي هادي حسن. (2022). مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية.

قصيدة النثر عند جماعة كركوك:أ .م. عمر توفيق ابراهيم،م.م.سنان عبد العزيز عبدالرحيم. (2008). مجلة جامعة كركوك.

لسان العرب، ابن منظور. (1990). بيروت، لبنان: دار صادر.

الانتماء في الشعر الجاهلي: د. فاروق أحمد سليم. (1998). اتحاد الكتاب العرب.

الانتماء في الشعر الجاهلي، د. فاروق أحمد سليم. (1998). منشورات اتحاد الكتاب العرب.

الانتماء في الشعر الجاهلي، د. فاروق أحمد سليم. (1998). اتحاد الكتاب العرب.

مجمع اللغة العربية ،معجم الوسيط،عبد الوهاب السيدعوض الله،محمد عبد العزيز القلماوي،. (1985.(

مزامير الشطآن: نضال العياش. (2017). منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق.

مزامير الشطآن: نظال العياش. (2017). منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق.

معجم علم النفس والتحليل النفسي: طه فرج، عبد القادر آخرون. (بلا تاريخ). بيروت: دار النهضة العربية بيروت.